

## نماذج من كتابات حول المطران جرمانوس فرحات

(وفقًا للتسلسل الزمنيّ)

إذًا، رغبةً في تدارك خلاص النفوس، وترقية المعارف والعلوم، نأمر أبناء إيماننا الأرثوذكسيّ، من عامّة وخاصة، بأن لا يجسروا بعد الآن أبدًا على تخريج بنينهم عند أساتذة أجنبيّين، وذلك نوجبه قيّد طائلة تأديب الحرم المنزل من لدن الأسقف. ويتناول هذا التأديب، أيضًا، أولئك الذين يأتون مدارس الكفّار أو المبتدعة سواء أتوها بأمر آبائهم أو دون أمرهم. لأنّه<sup>١</sup> "أيّ ائتلافٍ للمسيح مع بليعال وأيّ حظّ للمؤمن مع الكافر. أو لم تعلموا أنّ الخمير اليسير يخرّم العجين كلّهُ". وعليه، فحسبًا لأسباب الشرور نأمر رؤساء ومعلّمي مدارسنا في المدن والقرى والأديار الكبيرة أن يُعنوا بتدريس أصول اللغة العربيّة التي أحكّم وضعها الطيّب الذكر جبرائيل فرحات رئيس أساقفة حلب أيام كان راهبًا في رهبانيّة القديس أنطونيوس اللبناييّة، وأن يطلع الطلبة ديوان أشعاره وغيره من مصنّفاته، نثرًا ونظمًا، ذلك ليشربوا في قلوبهم حبّ التقيّ مع العلم وصفوة اللغة العربيّة.

### الجمع الإقليميّ [اللبنانيّ]،

"الباب السادس: في المدارس والدروس"، جونيّه، مطبعة الأرز، ١٩٠٠، ص ٥٥٠-٥٥١. ترجمه المطران يوسف نجم - مطران عكّا والنائب البطريكيّ، عن النسخة اللاتينيّة المطبوعة في رومية بمطبعة انتشار الإيمان المقدّس سنة ١٨٢٠.

###

ومّا يجب أن لا يُذهل عنه هو أنّ جبرائيل الفتى لم يكن له وُلّع ولا لُدّة إلاّ في المطالعة والتحصيل في حلقات التخريج لأنّه كان يرى العلم كالحقّ والجهل كالإثم [...].

فلا عَجَب بعد هذا أن نبغ بالعلوم، وبزّر في الآداب، ونال شهرة لم يَنلّها غيره من مُعاصريه الأفاضل حتّى أصبح ممّن يُشار إليهم بالبنان.

وكان أستاذه التولوي [الخوري بطرس التولاوي] شديد العجب بما آتى الله تلميذه من قوّة الذهن، وسعة العقل، ونفوذ البصيرة؛ وكان يقول مرّات إنّ جبرائيل سوف يكون من أفراد العلماء المُبرّزين في الشرق.

<sup>١</sup> الثانية إلى أهل كورنتس

<sup>٢</sup> الأولى إلى أهل كورنتس

وأما أستاذه الدبسي فكان يندهش ممّا عند تلميذه من قوّة الحافظة، حتّى إنّه كان يقول إنّ في ذاكرة جبرائيل نسخةً مشروحة لحوادث التوراة، وأيام العرب ووقائعهم وأنسابهم وأمثالهم وأشعارهم، وكتابًا جامعيًا واضحًا لأخبار الأمم والممالك، وأقاصيص الآباء القديسين، وجميع ما يتعلّق ببيعة الله الجامعة من حدوث بدع واجتماع مجامع، إلى غير ذلك من الشؤون الحرّية بالحفظ والاستظهار.

وأما أستاذه الآخر الشيخ سليمان [النحوي] فكان قويّ الاندھال ممّا كان عليه تلميذه من الأدب والحذق والذكاء والرجاحة، حتّى إنّه كان يُلقّبهُ بالعرف (أي كبير المكتب ورئيس الطلّبة)، ويُجلّسُهُ إلى جانبه إعجابًا وإجلالًا. [...].

### القّسّ جرجس منّش الحلبيّ المارونيّ،

"المستطرفات المستطرفات في حياة السيّد جرمانوس فرحات"، في مجلّة المشرق، بيروت، السنة ٧، العدد ١، كانون الثاني ١٩٠٤، ص ٥٢.

###

كان المطران جرمانوس فرحات رجل دين، وكان رجل علم. [...] ففي رجل الدين نرى الكاهن، والراهب، والأسقف. وفي رجل العلم نرى اللغويّ، والنحويّ، والشاعر. تشمل كلّ ذلك صفة المؤلّف البصير، والمهدّب اليقظ، والمصلح الخبير.

أمّا الكاهن فله مواعظ وإرشادات وأعمال تمهيدية لتعليم الرعيّة وترويض النفوس، [...] وأمّا الراهب فتزيّنه سيرة نسكية فشفقة، وحياة مطمئنة إلى السكون، مفضية بين الابتهالات والتأليف، بين فرائض العبادة وواجبات التعليم. حياة ساكنة لكتها مثمرة. [...] وأمّا الأسقف فله إصلاحات وتجديدات روحية ومادية لا تنساها مطرانية حلب، بل لا ينساها الأساقفة أجمعين.

### فؤاد افرام البستاني،

"مفويّات العام، المطران جرمانوس فرحات، ١٦٧٠-١٧٣٢"، في مجلّة المشرق، بيروت، السنة ٣٠، كانون الثاني ١٩٣٢، ص ٥١٠.

###

[...] وقد جُبل قلبه بالتقى منذ صباه، ثمّ سافر من حلب إلى لبنان، فكان يقضي الساعات الطوال بمناجاة ربّه، ويرقى بمناظر الجبال والمحاسن الطبيعيّة إلى التأمل بصفات الله تعالى، فيتحدّث عنها وعن قديسيه، ويتغنّى بها في قصائده الصادرة عن فؤاد مشغف بحبّ الباري. من يستطيع الكشف عن أسرار النفس في مناجاة ربّها، ومن أين لنا في كلامنا على صلاة فرحات أن نكشف عن أسرارها؟ لدينا ما وضعه من المؤلّفات الروحية، فعليها نعول في معرفة شخصيته الروحية. ولدنا تعاليمه في الصلاة، فمنها نطلع على أحوال نفسه وبها نحتدي إلى تتبّع تأثيره في غيره.

ولما دخل فرحات الدير في الجبل وجد كتباً روحية كثيرة منسوبة للآباء القديسين الشرقيين. فأعمل في بعضها قلمه ملخصاً أو مفسراً أو مقتبساً منها ما رآه نافعاً لغيره. هي نسكيات باسيليوس، وميامر الآباء القديسين، والسنكسار، ويستان الرهبان، وغير ذلك ممّا يغدّي به الرهبان نفوسهم. على أنّ فرحات اطلع أيضاً على كتب المؤلفين الغربيين، وعنهم أخذ لذاته ولرهبانيته. فظهر تأثير التعاليم الغربية في تثقيف فرحات الروحيّ بكونه استفاد من مطالعته الشرقية والغربية موادّ عديدة تمثلها، ثمّ أقبل على الكتابة والكلام. [...] فاصطبغت من ثمّ هذه المؤلفات، وغيرها من مؤلّفات فرحات، بصبغة نالت إلى عبقريته وأسلوبه النحويّ ميزةً خاصّة أقلّ ما يقال ثناء عليها إنّها عبّرت عن روحيّات الدين المسيحيّ بلغة لم يألفها السلف وعلمتها الخلف. ومن صفتها الوضوح، وضبط المعاني باللفظ العربيّ الفصيح المأنوس يفهمه الكبير والصغير، وذلك بتراكيب متينة تُشبع العقل إذا ما ساغ فحوى الكلام. فما إن تقرأ صفحة من كتب فرحات الروحية حتّى تتحقّق فيها طعنة الجديد المستحدث، كأنّها خرجت من قلم أحد الكتبة المجيدين محرّري المجلات التقوية، في عصرنا، عصر النهضة.

### الأب فرديناند توتل اليسوعيّ،

"جرمانوس فرحات العامل في خدمة النفوس"، في مجلّة المشرق، بيروت، السنة ٣٢، الجزء ٢، نيسان-حزيران ١٩٣٤، ص ٢٦٢-٢٦٣.

###

كلّ من يدرس حياة فرحات من ألفها إلى يائها، يراها حياة عمل وصلاة، حياة جدّ ونشاط، حياة طهر وقداسة، حياة علم وغيره. وقد تضاعفت، في نفس المترجم، هذه المواهب السنية، والمزايا الفريدة عندما قبضَ على عصا الرعاية. فإنّه منذ وطئت أقدامه أرض الشهباء، اتّخذ لذاته شعاراً غاية في الجلال والجمال؛ وهو لا يزال مرسوماً على جميع كتاباته الرسمية، التي اطلعنا على قسم منها في خزائن "البروغاندة" السرية.

يمثّل هذا الشعار القديس جرمانوس بطريك القسطنطينية واقفاً، وفي يده اليمنى سيف يتأجج ناراً رامزاً إلى أنّ لسان الأسقف يجب أن يكون ذا حدّين في مواعظه ومراشده وأحكامه، فيقضي للعباد بالعدل غير هيّاب. وفي يده اليسرى دُرّج مكتوب، إشارة إلى ما يلزم الأسقف أن يحرّز في صدره من صنوف العلوم والمعارف ليضيء في الليالي المدهمة أمام قطيعه سائراً به إلى سبيل السويّ. ومن جهتي رأسه أغصان الأرز، دلالة على ما يتحتّم على الأسقف أن يباليغ في كبت أمياله وحواسه ناسجاً على منوال المعلم الإلهي لتقتفي أغنامه آثاره. وفي الإطارين الخارجيين مُدوّن بالسرانية واللاتينية: "الحقير جرمانوس مطران حلب" [...].

### الأب بولس مسعد الحلبيّ اللبناني،

"شعاره" في "الذكرى في حياة المطران جرمانوس فرحات"، في مجلّة المنارة، جويلية، السنة ٦، العدد ٢، (شباط ١٩٣٥)، ص ١٨٦.

###

رجل دين وأدب. وُلِدَ في حلب. قصدَ إلى لبنان سنة ١٦٩٥ وترهّب. سافر إلى روما وإسبانيا (١٧١١). عاد إلى لبنان وأقيم رئيسًا عامًا للرهبة الحلبية المارونية. انتخبَ مطرانًا لحلب (١٧٢٥). يُعدُّ رائدَ النهضة الأدبية الحديثة التي بدأت في حلب، وانتقلت إلى لبنان. تركَ حوالي ١٠٤ كتبٍ في الدين، والتاريخ، والأدب، واللغة [...].

ألبرت الرجائي وفريق من الأساتذة،

"فرحات، جرمانوس (١٦٧٠-١٧٣٢)", في الموسوعة العربية، بيروت، دار ريجاني للطباعة والنشر، ١٩٥٥، ص ٥٣٦.

###

كذلك انتخبنا القسّ جبرائيل فرحات رئيسًا لدير مار أليشع. والمذكور قد سبق القول عنه إنه قد افترق عنّا سنة ١٧٠٠، وانفرد في قرية زغرتا يعلم الاولاد. وفي السنة الماضية، أعني سنة ١٧٠٥، رجع إلينا. وسبب رجوعه كان مرض جسمه، لأنّ الأطباء نوهوا عن السكنى في زغرتا لسوء طبع الهواء والمناخ. فخاف وطلب منّا أن نقبله فقبلناه بفرح. وكان يقول إنه منذ افترق منّا فما استراح ضميره البتة. وفي هذه السنة أقمناه رئيسًا على دير مار أليشع لجودة فطنته، وحسن غيرته، وأنه كان حادّ المزاج بليغًا في همّته، وذا علم راسخ، فيلسوفًا شاعرًا مفلحًا، وله قيمة عظيمة عند الأكابر والأصاغر لفصاحته ودقّة فهمه.

المطران عبدالله قراعلي،

"عودة فرحات إلى الرهبة" في مذكرات المطران عبدالله قراعلي، نقلًا عن الأب بطرس فهد، تاريخ الرهبانية اللبنانية بفرعها الحلبّي واللبنانيّ، الجزء ٣، جونيه، مطبعة الكرّم، ١٩٦٥، ص ٢٥٢-٢٥٣.

###

[...] أمّا مُصنّفات جرمانوس فرحات الصرقيّة والنحويّة ففيها تركيزٌ واقتدارٌ على تعاطي الموضوعات التقليديّة، بيقظة وأصالة. ولعلّ لثقافته الأجنبيّة يدًا في هذا النمط من التأليف، ولاسيما طريقة عرضه، فقد [...] كان يعرف اللغات السريانيّة، والإيطاليّة، واللاتينيّة.

[وكتابه] "بحث المطالب" [...] ظلّ يُدرّس، في بعض مدارس لبنان، حتّى أوائل القرن العشرين. فقد كان يُعدُّ - بنسبة العصر الذي وُضِعَ فيه - تبسيطًا للمُتلقّي، فجعلَ ذلك منه عملاً كبيرًا من حيث تغيير النهج التعليمي. [...] فقد خلّصَ النحو والصرف من شوائب تعليقات النحاة والصرقيين. ومزيتته إنّما هي تلك المقاصد الثلاثة التي ذكرها في مقدّمته، أي إزالة التعقيد، والاستيعاب مع

الاختصار، وإيراد الشواهد. كما يبدو لدارسه - عدا الاختصار المستوعب - تعقيبه بوضع تنبيهات تُزيل الالتباس، وتضمّ الشوارد المتفرقة هنا وهناك عند القدامى في الموضوع نفسه. [...].

ولا بدّ من الإشارة إلى تأثير مُصنّفات فرحات هذه في بيئته المسيحية التي وَجَدَ فيها الناشئون الأداة القويّة الطيّعة لتصلّحها بقواعد العربية، بعد أن كادت هذه العلوم تكون وفقًا على المسلمين وحدهم. لقد كان فرحات أوّل نصرايين أَلَفَ في النحو.

#### أسامة عانوتي،

"علوم العربية، الصرف والنحو"، في الحركة الأدبية في بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر، بيروت، منشورات الجامعة اللبنانية، ١٩٧١، ص ١١٨ - ١٢٠.

###

[...] وطلّعة رواد النهضة الأدبية الحديثة، والرائد السابق الذي مهّد لها فوضع في صرحها حجر الزاوية ومكّن من طلوع فجرها الباكر [...].

خبّر جليل، وعالم لغويّ ماهر، ونحويّ دقيق، وشاعر من أكبر شعراء عصره، ومهدّب تفاني في سبيل تسهيل الدرس والتحصيل أمام الأجيال الطالعة. فهو من رجال الكنيسة ورجال العلم الذين جمعوا بين الثقافة الواسعة والفضيلة البالغة، يصرفهما تصريف الإصلاح والتجديد، مُحاولًا إيقاظ الوعي الوطنيّ عن طريق بثّ حبّ اللغة والعناية بها، فكان بذلك أساسًا وطيدًا ونقطة انطلاق لنهضة ما فتئت أن طلعت على العالم العربيّ منذ مطلع القرن التاسع عشر. [...].

وهو [...] من كبار المترجمين، قام بحركة واسعة في الترجمة العربية: فنقل إلى لغة الضاد المزامير والأناجيل والكتب الطقسية المارونية، فعرفت الكنيسة على يده فصاحة العرب. وقد آزره في حركة النقل هذه لفييف من العلماء، كانوا بمثابة تجمّع علميّ، أعضاؤه من كبار علماء الموازنة، فجاءت حركته هذه حلقة جديدة ترتبط بحركة الترجمة يقوم بها الكتاب النصارى في العهد العباسي [...].

ومن مآثره أنّه جمع مكتبة غزيرة في كرسي أبرشيّته في حلب، ضمّتها نفائس الكتب المخطوطة، كما أنّه جمع حوالبه مجمعًا علميًا، كان من أركانه معلّمه الخوري بطرس التولاوي [...]. والقسّ عبد المسيح لبيان، والكاتب الشاعر القسّ عطا الله زنده. [...].

#### يوسف أسعد داغر،

في مصادر الدراسة الأدبية، الفكر العربي الحديث في سير أعلامه، الجزء ٣، القسم ٢، بيروت، منشورات الجامعة اللبنانية، ١٩٧٢، ص ٩٥٧-٩٥٩.

###

عزّز المدرسة المارونيّة في حلب، ورفع مستواها، وأحكم نظامها، وضبط إدارتها، وأنشأ مكتبةً كانت نواةً لمجموعة تَمَّت مع الزمن منذ ذلك الحين. وشكّل شبه أكاديمية أَلَّفها من ألمع علماء المسيحيين وأدبائهم في حلب، وشجّع أعضائها على الإنتاج والتأليف. [...].

كان فرحات أيضًا مصلحًا عميقًا وواسع المدى، ومحركًا لنهضة روحية وروحية وكنسيّة وعلميّة وأدبيّة ولغويّة. ويُعتبَر بحق رائد النهضة الأدبيّة واللغويّة الحديثة الذي انتشل اللغة العربيّة وآدابها من هُوّة الانحطاط، ومدّها بزخم شديد.

### الأب بطرس ضو،

"المطران جرمانوس فرحات (١٦٧٠ - ١٧٣٢)" في تاريخ الموارنة الديني والسياسي والحضاري، الجزء ٤، الوجه العسكري الماروني من ١٦٣٧ - ١٨٤٠، ط. ١، جونية، المطبعة البوليستية، ١٩٧٧، ص ٤٤٤-٤٤٥.

### ###

إنّ لهذا الأسقف، المولود في القرن السابع عشر، فضلُ التأليف في النحو. فهو أوّل نصراييّ أَلَفَ فيه، بعدما أخذ هذا العلم عن الشيخ سليمان النحويّ المسلم في حلب. وله أيضًا فضلٌ أكبر وأعمّ إذ صحّح الترجمة العربيّة للمزامير والأناجيل، وسائر كتب الموارنة الكنائسيّة، فعرفت الكنيسة فصاحة العرب. وحبُّ المطران العربيّة حمله على تعريب الإنجيل مسجوعًا، وهذا التعريب محفوظ حتّى الآن بمكتبة حلب المارونيّة.

وإنّ هذا الأسقف كان المترجم والمصحح لما يُترجم. شَعَفَتُهُ اللغة العربيّة وكلّ ما يتصل بها، فخاطر بنفسه وأمّ الأندلس، ركبًا البحر، يوم كان المركب لا يزال لبنانيًا؛ ليمتّع نظره بآثار العرب الخالدة فيها؛ ويقرأ في مكتباتها ما لا تقع عينه عليه في الأقطار العربية.

نعم قد سبقه مترجمون آخرون في القرون الوسطى، ولكنّ تعبيرهم كان ركيكًا جدًّا، وهذا ما حمل أحمد فارس الشدياق، حين آلت إليه زعامة النهضة، على التهكم بلغة رجال الدين، والتنادر عليهم في فارياقه<sup>١</sup>. ولم يحترم منهم أحدًا غير هذا الخبر فقط.

### مارون عبّود،

في رَواد النهضة الحديثة، طبعة جديدة، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٧، ص ٤٢-٤٤.

### ###

وتفهم فرحات، بكونه لغويًا، الحاجة الماسّة لوضع كتب في قواعد اللغة العربيّة تُسهّل حفظ هذه اللغة، وإتقانها. فألّف، في الصرف والنحو والبيان، كتبًا استمرت قيد الاستعمال والتداول، بين المسيحيين، حتّى زمن قريب. [...].

<sup>١</sup> هو كتاب: الساق على الساق في ما هو الفارياق لأحمد فارس الشدياق، والذي يعرض فيه لسيرته الذاتية والفكرية. والفارياق لفظة نحتها مؤلّف الكتاب من اسمه (فارس) واسم عائلته (الشدياق).

ولم يُعرف فرحات بصفته اللغوية فقط بل بكونه شاعرًا أيضًا. [...] ويتّسم شعر المطران فرحات باعتماده أشكال الشعر العربيّ، وتضمينها عددًا من المفاهيم المسيحيّة. يتحوّل الغزل، مثلاً، إلى أناشيد للعدراء مريم؛ والخمريات إلى تسابيح للقربان المقدّس. ولم يَكُن فرحات أوّل من ابتدع هذا الأسلوب الشعريّ، فقد سبقه إليه، في القرن الرابع عشر، ديوان سليمان الغزّيّ الذي يتناول نفس هذه المواضيع الدينيّة. ولكنّه لم يُنشئ مدرسةً أو تيارًا أدبيًا معيّنًا.

[...] إنّ معظم قصائد الديوان تتناول مواضيع دينيّة، وكنسيّة، وأخلاقيّة. وجميعها من الشعر الكلاسيكيّ في مجوره المختلفة، كالخفيف، والطويل، والكامل، والوافر، والبسيط، وغيرها. وفيه عدد كبير من القصائد في مدح العدراء مريم. [...] وفي آخر الديوان خمس عشرة قصيدة في أفراس مريم، وأحزائها، وتماجيدها. أفراسها خمسة: سرّ البشارة، وسرّ الزيارة، وسرّ الميلاد، وسرّ دخول المسيح في هيكل سليمان، وسرّ وجوده في هذا الهيكل. وأحزائها خمسة: صلاة السيّد في البستان، وسرّ جلّده على العمود، وسرّ تكليبه بالشوك، وسرّ حمله الصليب، وسرّ صلبه. أمّا تماجيدها فخمسة أيضًا: قيامته، وصعوده، وحلول الروح القدس، وانتقال مريم البتول، وتكليلها في السماء. ومن المواضيع الشعريّة اللاهوتيّة: تجسّد المسيح وآلامه، ومذاهب الهرطقة المبتدعين في سرّ التجسّد الإلهي، وقيامته المخلّص من بين الأموات [...]. ونجد أيضًا، في الديوان، بعض القصائد التي يردّ فيها المطران فرحات على المعريّ في لزوميّاته، حاملاً عليه حملاتٍ عنيفةً بسبب تنكّره لأخبار المسيحيّة والموسويّة. أمّا القلّة الباقية من شعره فهي تتناول مواضيع أخلاقيّة عامّة موزّعةً بين حسن السلوك والتصرّف والشخصيّة، وميزات الراهب وخصاله الحميدة. ويُعتبَر فرحات من تباشير النهضة، فَمَعَهُ راح يتنفس عمود الشعر العربيّ بنفس كنيّ عابق ببخور اللاهوت والطقوس الاحتفاليّة.

ويمكن اختصار أعمال فرحات في عداد الذين أحيوا قواعد اللغة العربية بعد قرون من الانحطاط. ومن ثمّ اتّجه بإمكانات هذه اللغة نحو معالجة القضايا المسيحيّة، فكان أن أسهم إسهامًا فعّالًا في خلق لون خاصّ من ألوان أدب النهضة عُرف، في ما بعد، بالأدب الكنيّ.

أمين ألبرت الرّيحاني،

"المطران جرمانوس فرحات" في مدار الكلمة: دراسات نقدية، ط. ١، بيروت، دار الكتاب اللبناني؛ القاهرة، دار الكتاب المصري؛ ١٩٨٠، ص ١١١-١١٤.

###

[...] فرّبه والداه بالتقوى والورع [...]. ولما أتى الأفاضل الثلاثة، وهم جبرائيل حوّا وعبدالله قره الي ويوسف البيّن، من حلب إلى لبنان سنة ١٦٩٤ لتأسيس الرهبنة، تبعهم جبرائيل فرحات بعد سنتين، وانضمّ إلى المؤسّسين المذكورين مُجاهدًا في طريقة النسك الرهبانيّة، متفانيًا بحبّ الله، مُضطرًّا بالعبّرة على خلاص النفوس، عاكفًا على التأملات الروحيّة، مجاهدًا في الأعمال الصالحة، مُكبّيًا على التآليف والتصنيف ونظّم الأشعار الروحيّة والأدبيّة، متغرّلاً فيها بحبّ الله والفضيلة ومريم العدراء. وقد انتخبه إخوته الرهبان رئيسًا

عامًا على رهبانيتهم في ثلثة [ثلاثة] مجامع متتالية، أي من سنة ١٧١٦ إلى سنة ١٧٢٥. ويظهر من بعض قصائده أنّه زار ضريح الرسولين في رومة أمّ المدائن.

[...] والظاهر من مؤلفاته وإعراياته واقتطفاته وترتيباته، ومن الكتب الكثيرة التي تُرى بخطّ يده المباركة، أنّه لم يصرف ساعة من زمانه إلّا في خدمة الخالق، والإجداء بالفوائد على الخلائق، رحمنًا الله بصلواته، ومَنَّ علينا بأمثاله ببركاته.

**المطران يوسف الدبس،**

"في المطران جرمانوس فرحات" في الجامع المفصّل في تاريخ الموارنة المؤصّل، قدّم له الأب ميشال حايب، ط. ٣، بيروت، دار لحد خاطر، ١٩٨٢، ص ٣٠٠-٣٠٢.

####

[...] وتجدد الإشارة إلى أنّ جرمانوس فرحات، الذي أصبح أسقفًا على مدينة حلب الشهباء، هو رائد النهضة العربيّة لأته، فضلًا عن مواظبه وإرشاداته وسياسته الحكيمة لرهبانيته أولًا ولأبرشيّته ثانيًا، قد كرسّ قسّمًا وافرًا من حياته في التأليف والتصنيف. [...] لذلك قيل بحق: إنّ المارونيّ جرمانوس فرحات هو رائد النهضة العربيّة في الشرق.

**الأب يوسف محفوظ،**

في مختصر تاريخ الكنيسة المارونيّة، الكسليك-لبنان، [د.ن.د.]، ١٩٨٤، ص ١٥٥-١٥٦.

####

استهوت اللغة العربيّة المطران جرمانوس فرحات منذ صغره، فقرأ "الكتاب" لسيبويه<sup>١</sup>، وألّم بعلوم الرّمحشري، فأصبح فرحات نحوياً راسخ القدم، لم يُبارِه في هذا المجال أحدٌ من أبناء طائفته. إذ إنّه بلغ قصارى الجهد في التأليف والتصنيف والتعريب، وتعزيز بيوت التعليم لتقوى على بثّ العلم من الناحية الدينيّة والأدبيّة والشعريّة، فخرّب قلمه السيّال كتبًا عديدةً، تُنمُّ عن عقل راجح، وعلم غزير، وفريجة كثيرة الإنتاج.

وسبظلّ المطران جرمانوس مثلًا حيًّا يتبعه المصنّفون في تسهيل التدريس، وتقريب القواعد من فهم الدارسين، في مجال الشعر، وفنون الأدب كافّة، ولا سيّما علم البيان والبديع، المتمثّل بكتاب "بلوغ الأرب في علم الأدب".

**إنعام فوّال (تحقيق)،**

"اهتماماته اللغويّة والأدبيّة والشعريّة" في بلوغ الأرب في علم الأدب - علم الجناس، تأليف المطران جرمانوس فرحات، ط. ١، بيروت، دار المشرق، ١٩٩٠، ص ٢٣-٢٤.

<sup>١</sup> هو عمرو بن عثمان (ت ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م) إمام النحاة. أنظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٣٨٥؛ والزركلي، الأعلام، ج ٥، ص ٨١.



###

ويبقى فرحات مبدعاً خصباً متنوع الانتاج في مجالات شتى. ابتكر وألّف، ترجم ونقل، وصحّح ونقّح، وربّث مؤلفاته على المئة، سرى جُلّها في التداول في صيغته المخطوطة، في حياة المؤلّف ولأكثر من قرن بعد ارتحاله، أو قبل الشروع بطباعتها في بداية الثلث الثاني من القرن التاسع عشر. وبالرغم من كثرة الدراسات التي تناولته، تظلّ مسألة إحصاء الناتج المخطوط وقضيّة صلته بما تحقّق منه علمياً مواضيع مفتوحة للبحث.

الأب كرم رزق،

"نوطة"، في جرمانوس فرحات، حياته وآثاره، تأليف نهاد رزوق، الكسليك-لبنان، جامعة الروح القدس - معهد التاريخ، ١٩٩٨، صفحة "ي".

###

والمطّلع على مؤلّفات ومعرّيات ومصحّحات ومختصرات فرحات الوفيرة، لا يسعّه إلاّ أن ينظر إليه بإعجابٍ فائقٍ، وخاصة حين يلمس أنّ هذا العالمة، رغم كثرة مشاغله وتعدّد أسفاره، لم يترك حقلاً من العرفان إلاّ وغرّس فيه أغراساً، وكان في طليعة المُبرّزين المُفْلِحين فيه!

فألّف في الصّرف والتّحو والبيان والمعاني والعروض والشّعر واللّغة، ووَضَعَ الكُتُب النَّفِيسَةَ في فنون: الحُطَابَةِ والجدل والمنطق والفلسفة وعِلْم التّفسير وعِلْم الكلام، وأنشأ الكُتُب القديمة في الأخبار والتّاريخ، واستوعب أصول الشّرْعين: المدني والدّيني، وأسهب في علمي العقائد الأدبّيّة والطّبيعيّات، فبلغت تَرْكُتُهُ العِلْمِيَّة (بين مطبوعٍ ومخطوطٍ) أكثر من مئة كتاب أو مُصنّفٍ، تُعجّزُ المرءَ في مثلي حياته نَسْحًا.

وهكذا نرى أنّ همة فرحات في صناعة الكِتَاب والتّحبير، كانت ناشطةً وعاليةً جدًّا، فاستنزفت، زَمَنَ الصِّبَا والكُهولة والشّيخوخة، عرق الجبين في سبيلها، ولَقَطَ أنفاسَهُ بين الأقاليم والمحابر والصّحائف، كما حثّ علماء زمانه على التّحرير والتّساخته والتّصنيف مُصنّفًا لهم شَكْلَ بعض تاليفهم ذات المضامين الحسنة القيّمة؛ وإذا بحياته تُقاسُ بحياة أُمَّةٍ، وتُعادلُ بعصرٍ من عصور البَشَر!

نهاد رزوق،

"آثاره المطبوعة والمخطوطة" في جرمانوس فرحات - حياته وآثاره، الكسليك - لبنان، جامعة الروح القدس - معهد التاريخ، ١٩٩٨، ص ٥٨.

###

"كتاب بحث المطالب" هو كتاب في الصرف والنحو، وضعه جرمانوس فرحات لإفادة الناس، وتسهيل درس القواعد، بخاصة عند المسيحيين [...]. لقد استقى معلوماته من كتب النحويين القدماء، فانتهى ما رأه ضروريًا، مُهملاً الغريب والمُمل، وما هو غير ذي فائدة [...].

كانت طريقة شرحه بسيطة، فصاغ القاعدة ثم ضرب الأمثلة عليها. وما يُؤخذ عليه فيها أنّها تقريرية، تلقينية، وليست استجوابية وحسب الطرائق التي تستثير انتباه الطالب فتضرب الأمثلة ثم تستنتج القاعدة [...] وكتابه موجز وواضح. ولعلّه من الكتب الفريدة بين كتب اللغة بأسلوبه المشرق، وكم كنّا نفضّل تقليده لما فيه من شدّة الإيجاز مع وضوح المعنى، ولعلّ الاستمرار في الاعتماد عليه فترة طويلة مرّده لما فيه من سهولة ويُسر، وهنا يكمن دور جرمانوس فرحات في تبسيط القواعد، يوم كانت العربية تحاول لمّ شتاتها، بخاصّة بين المسيحيين، فكان رائداً ومثلاً يُحتذى.

ونظراً لأهميّة الكتاب، تداولته أيدي الناسخين نحو قرن ونصف القرن، وتناوله الشارحون والطابعون مراراً.

طُبِعَ الكتاب مراراً عديدة في مطبعة مالطة الأميركية سنة ١٨٣٦م، وفي مطبعة بيروت الأميركية سنة ١٨٤٥م، وفي مطبعة الحكومة اللبنانية سنة ١٨٧٦م، وفي المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين سنة ١٨٦٥م، ثم طبعته مصحّحاً في السنوات ١٨٨٣م، ١٨٩٩م، ١٩٠٠م، وليس طبعه إلا لأهميته، وللطلب عليه.

يوسف فرج عاد،

"كتاب بحث المطالب"، في الحركة الأدبية في لبنان خلال القرن الثامن عشر، ط. ١، بيروت، دار الحدائق، ١٩٩٨، ص ١٤٠-١٤٢.

###

من المعروف أنّ العلامة المطران جرمانوس فرحات (١٦٧٠-١٧٣٢) ترك آثاراً شهيرة في الأدب العربي والشعر واللغة، وكذلك في الوعظ والتاريخ الكنسي والطقسيات واللاهوت. إلا أنّ العلامة نفسه قد اهتمّ الاهتمام الشديد أيضاً بالأمور والمعاني الروحانية، والمواضيع والقضايا الخاصّة بالحياة الرهبانية، وهو أمر لم يكن غريباً عن التزاماته، وقد كان من مؤسّسي الرهبانية اللبنانية المارونية في السنة ١٦٩٩ [...].

ومن النصوص الروحية التي كتبها جرمانوس فرحات الرسالة الوجيزة في تعليم الصلاة العقلية، ورسالة ستون تأملاً في آلام يسوع وقيامته، [...].

وإلى هذه النصوص الهامة لا بدّ من إضافة [...] نصّ كتاب الرياضة الروحية أو الحاشية في تدبير رياضة المتروّضين لما فيه من فائدة روحية عميقة المعاني والجوهر، ومن أسلوب لغويّ على غاية من السلاسة، ومن مفردات لغوية ومصطلحات لا بدّ أن تكون الركيزة للكاتب في مجال الروحانيات، وللمعلّم والواعظ والمرشد. فالمطران فرحات يستخرج من النصوص الروحية القديمة، فيُعطي للتقليد الروحاني المسيحي، في صيغته السريانية وكذلك العربية، دوره ومكانته في التأليف، ويستنبط من باع اللغة العربية ما ينقصه للتعبير عن اختباره التوحدي الروحاني.

[...] إنّ الأدبَ الروحيّ الشرقيّ لم يعرفْ كتابًا في الرياضات الروحيّة قبل كتاب **الرياضة الروحيّة** الذي وضعه المطران فرحات بشكلٍ مُنسَقٍ مُنظَّم، فكان سببًا في تأليف كتاب في هذا الأدب للمرة الأولى باللغة العربيّة عبر اختبار شخصيّ لماهيّة الحياة الروحيّة ومستلزماتها. [...].

وبالرغم من أنّ هذا النصّ، نصّ فرحات، هو من مطلع القرن السابع عشر [...] فإنّ **الرياضة الروحيّة** تبدو نصًّا مُعاصرًا لنا، مُفيدًا، لا كمجرد قراءةٍ روحيّة، بل كنصٍّ يتطلّب منّا الدخول في اختبارٍ وفي امتحانٍ لما يُشكّل شخصيّتنا اليوم أمام الربّ. وما يساعد في دخول هذا الاختبار هو ذلك الأسلوب السهل الممتنع، العالم بخفايا اللغة العربيّة ومصطلحاتها القدسيّة والروحيّة. [...].

الأب سليم دكّاش اليسوعيّ،

"المقدّمة"، في **الرياضة الروحيّة أو الحاشية في تدبير رياضة المتروّضين**، ط. ١، بيروت، دار المشرق، ٢٠٠١، ص ٥-٧، ٣١.